التزيين في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

The word (Beauty in the Noble Quran)
A Subjective Study

إعداد:

د. علي بن حميد بن مسلم السناني

الأستاذ المشارك بقسم التفسير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية

المستخلص

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المجتبى، وعلى صحبه ومن اقتفى، وبعد: فإن من أنفع ما ينتفع به المرء في دينه ودنياه الاشتغال بكتاب الله، فإن الله جعله تبيانا لكل شيء ومن مواضيع هذا الكتاب: موضوع التزيين في القرآن العظيم، وبحث هذا الموضوع بيثري حصيلة الباحث العلمية وخاصة المتخصصين، وبيان حقيقة أن من مكايد الشيطان تزيين المعاصي والقبائح للناس نكاية بهم، فواجبهم أن يحذروا.

وكذلك الوقوف على حكمة الله تعالى في تزيين الكفر والمعاصي لأهلها، وإبراز هذه الحكمة ليسلموا لما قضاه الله بلا معارضة، ومنهج البحث عرض آيات التزيين ووضعها تحت مباحث ومطالب مناسبة، ومن ثم جمع مادة البحث من خلال الاستقراء والتتبع، وقد تضمن المبحث الأول: التزيين في القرآن منسوباً إلى الله تعالى، وتضمن المبحث الثاني: التزيين في القرآن منسوبا إلى الشيطان وتحته مطالب، ثم المبحث الثالث: دلالة القرآن على تزيين الكفر للكافرين، وأخيراً الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث.

والحمد لله رب العالمين.

Abstract

Praise be to Allah and His Peace and Blessings be upon his Chosen Messenger ،his companions and those who follow him.

The most beneficial for man in this world and the hereafter is to engage himself in studying the book of Allah, for Allah made it a clarification for all things ،and one of the subjects of this great book is: "The Subject of Beautification in the Noble Quran".

Researching this kind of topic enriches the researcher and the specialists in the field of Quran science and shows the fact that one of the devil's tricks is to beautify sins and shameful deeds for people as a means of subduing them ، therefore ،they should be wary of Shaytan tricks.

It is also serves as a way of understanding the wisdom of Allah in beautifying disbelief and sins to its people ،and to highlight this wisdom for people in order to surrender to Allah's inevitable decree without opposition ،and to also serves as a response to the opposing sects to the tenets of the people of Sunnah ،those who rejected clear rules of Quran ،and expose their incoherent explanations.

The methodology of this research is based on presenting the verses on beautification ،and spread them under topics and sub-topics ،and then compiling the research materials through induction and exploration.

This research comprised of five topics and a conclusion.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله الله الملك الحق المبين إله الأولين والآخرين، المزّين بفضله الإيمان للمؤمنين، الكفر بعدله للكافرين؛ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه هو القوي المتين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وحجة الله على العالمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وعلى من سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن علم التفسير من خير العلوم قاطبة، وشرف العلم من شرف المعلوم، ولا شك أن الاشتغال بكتاب الله تعالى وتفسيره وبيانه شرف عظيم، ومغنم جسيم؛ لمن هيأ الله له أسبابه، ورزقه الإخلاص في طلبه، ذلك أن نور الوحي يضيء للأمة طريقها ويعالج لها مشاكلها، ويمهد لكمالها في العاجل والآجل؛ لذلك فإن خير الناس من جعل القرآن همه وغاية مطلبه، قال صلى الله عليه وسلم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس: ٥٧]، وهذا الشفاء لن يتحصل إلا لمن التزم بشرطه، وهو التدبر، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، وإن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن من المواضيع التي دارت كثيراً في القرآن الكريم الحديث عن التزيين، فقد عرض الكتاب المبارك لهذا الموضوع، من جوانب متعددة، وزوايا مختلفة، ومن ذلك بيان حكمة الله تعالى في تزيين الأعمال السيئة للعاملين، مع التعرض للكثير من مكائد الشيطان وتزيينه المعاصي والمحرمات للعاصين، بغرض الوقيعة بالإنسان، فقد أقسم الشيطان المريد لربه أنه سيسعى جاهداً، في التزيين لبني آدم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩]، ومن هنا أحببت أن أعرض لموضوع: **التزيين في القرآن الكريم، من خلال دراسة موضوعية**، وقد جعلت هذا البحث بعنوان: **التزيين في القرآن الكريم / دراسة موضوعية**. راجياً من الله تعالى التوفيق والسداد والإعانة.

أهمية الموضوع وسبب اختياره

وقد رغبت أن أتناول هذا الموضوع لجملة من الأسباب منها:

١- أن هذا الموضوع أحد المواضيع التي عرض لها القرآن الكريم، ففقهه والوقوف مع مسائله مما

(١) أخرجه البخاري من حديث عثمان رضي الله عنه باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٩٢/٦ ح (٥٠٢٧).

يزيد في الحصيلة العلمية للباحثين وخاصة في التخصص.

٢- بيان حكمة الله تعالى في تزيين الكفر والمعاصي لأهلها، فلم يخلق شيئاً أو يأمر به عبثاً فسبحانه لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

٣- التنبيه إلى أن من مكائد الشيطان للإنسان تحسين الكفر والمعاصي له، وذلك بتمنيه بسعة الرحمة وإنساءه العقوبة، فعلى العاقل إدراك هذه الحقيقة والأخذ بأسباب التحرز لينجو من مكائد عدوه الشيطان بإذن الله تعالى.

٤- إبراز ما ذكره العلماء من رد علمي مقنع على المعارضين لحكمة الله تعالى في تزيين الكفر والمعاصي لأهلها، بما حسنته العقول أو قبحته.

٥- الوقوف على بعض أسرار الأسلوب القرآني المعجز في عرض التزيين بين ذكر الفاعل صريحاً وإبهامه.

الدراسات السابقة:

لم أجد حسب اطلاعي من تعرض لهذا الموضوع كدراسة بحثية متخصصة، وإنما هناك جزئيات من الموضوع مطروحة عبر الشبكة العنكبوتية، ولكنها عبارة عن تناول جوانب من الموضوع بشكل مختصر، يستأنس بها ولا يعتمد بالكلية عليها. سائلًا المولى التوفيق وأن يلهمني الصواب في القول والعمل.

خطة البحث:

جعلت البحث في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع وسبب اختياره. والإشارة إلى الدراسات السابقة.

التمهيد: ويتضمن: بيان معنى التزيين، والتزيين في القرآن الكريم.

المبحث الأول: التزيين في القرآن مضافاً إلى الله تعالى، وتحته مطالب.

المطلب الأول: معنى تزيين الأعمال من الله تعالى.

المطلب الثاني: حكمة الله تعالى في تزيين الأعمال للعاملين.

المطلب الثالث: الله تعالى هو المزين على الحقيقة لكل عمل.

المطلب الرابع: بيان ما جمع به العلماء بين مجيء التزيين مضافاً إلى الله، ومضافاً للشيطان.

المبحث الثاني: الحكمة من إبهام فاعل تزيين الأعمال السيئة: وفيه مطالب:

المطلب الأول: التأدب مع الله تعالى في عدم نسبة عمل السوء إليه.

المطلب الثاني: الحكمة من إبهام المزين للناس.

المطلب الثالث: نماذج من الآيات الواردة في تزيين العقوبة والاستدراج.

المبحث الثالث: التزيين في القرآن الكريم مضافاً للشيطان، وتحته مطلبان.

المطلب الأول: ما جاء من التزيين مضافاً للشيطان.

المطلب الثاني: ما جاء من التزيين مضافاً إلى غير الشيطان.

المبحث الرابع: دلالة القرآن الكريم على تزيين الكفر للكافرين، وتحته مطالب.

المطلب الأول: النزاع بين أهل السنة ومخالفيهم في نسبة تزيين الكفر لله تعالى.

المطلب الثاني: الاحتجاج على المخالفين لأهل السنة من المعتزلة والقدرية ببيان الحكمة من تزيين الإعمال.

المطلب الثالث: قول المعتزلة في معنى ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨] والرد عليهم.

المبحث الخامس: التزيين منة من الله تعالى على عباده، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: فضل الله تعالى على عباده في تزيين الإيمان في قلوبهم.

المطلب الثاني: فضل الله تعالى على عباده في تزيين السماء بالمصابيح.

الخاتمة: وتتضمن: أهم نتائج البحث.

منهج كتابة البحث:

١- جمع واستقراء المادة العلمية للموضوع، وهي عبارة عن جمع الآيات التي ذكر فيها التزيين، ومن ثم تحليل هذه الآيات ووضع عناوين مناسبة لها بخط مغاير، مع مراعاة الآتي:

٢- جمع خلاصة لما ورد عن المفسرين حول مسائل الموضوع كما عُرض في الآيات، مع السير مع المفسرين دون التوسع في الموضوع من الناحية العقدية إلا بحدود الحاجة تجنباً للتطويل الممل.

٣- الاعتناء بتعريف المفردة القرآنية من خلال الرجوع لكتب اللغة والغريب، وذكر ما تدعو إليه الحاجة من مسائل الآية باختصار.

٤- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين، مع عزوها إلى سورها بذكر رقم الآية واسم السورة، مع السير وفق ترتيب السور والآيات في المصحف الشريف، وذلك في المتن بين قوسين.

٥- التوثيق العلمي من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، ونقل كلام المفسرين من كتبهم، مع التركيز على موطن الشاهد من الآية الكريمة، دون التعرض لسائر أجزائها، مشيراً إلى ما نقلته متصرفاً في نقله.

٦- تخريج الأحاديث والآثار من خلال الرجوع إلى كتب السنة المعتبرة، فما كان في الصحيحين أو في أحدهما؛ خرجته منهما، وما لم يكن فيهما؛ فإنني أذكر كلام النقاد المعتبرين حول تلك الأحاديث صحة وضعفاً.

٧- التعريف بما يحتاج إلى تعريف من الألفاظ، وغير ذلك.

٨- تذييل البحث بفهارس علمية تقرب محتواه.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد

معنى التزيين:

قال في مقاييس اللغة: (زَيَنَ) الزَّاءُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ ، يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الشَّيْءِ وَتَحْسِينِهِ، يُقَالُ زَيَّنْتُ الشَّيْءَ تَزْيِينًا: حَسَّنته[1]، وهو أحد مظاهر مكائد[2] الشيطان[3] للإنسان نكاية به قال ابن القيِّم رحمه الله تعالى: فالبلاء مركب من تزيين الشيطان وجهل النفس، فإنه يزين لها السيئات ويُريها أنها في صور المنافع واللذات والطيبات ويغفلها عن مطالعتها لمضرتها، فَتَولّد من بين هذا التزيين وهذا الإغفال والإنساء لها إرادةٌ وشهوةٌ، ثم يمدها بأنواع التزيين فلا يزال يَقوَى حتى يصير عزماً جازماً يقترن به الفعل، كما زين للأبوين الأكل من الشجرة وأغفلهما عن مطالعة مضرة المعصية؛ فالتزيين هو سبب إيثار الخير والشر كما قال تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣]، وحقيقة الأمر أن التزيين إنما يغتر به الجاهل لأنه يلبس له الباطل والضار المؤذي صورة الحق والنافع الملائم فأصل البلاء كله من الجهل وعدم العلم [4].

---

(١) انظر مقاييس اللغة (زين) ٤١/٣ نظر اللسان ٣٩٥/١١، والصحاح ١٧٤٨/٥وقال الراغب: التزيين هو: التحسين، كما في تفسيره ٤٣٦/١، باب (٢١٢).

(٢) قال اللغويون: (ك. ي. د) كاد له كيداً، أراده به، من (الكيد)، وهو إِرَادَة مضرَّة الْغَيْر خُفْيَة، وَهُوَ من الْحِيلَة السَّيِّئَة، أو تدبير فعل السوء، أو التدبير بباطل، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: كادَ يَكِيد، كَيْدًا، فهو كائِد، والمفعول مَكِيد، يأت لمعان:

١ – مكَر به وخدَعه واحتال عليه ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴾ [الطارق: ١٥]، وقال تعالى في النساء – ﴿ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾ [يوسف: ٢٨]– وقال تعالى عن فرعون ﴿ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٠]: جمع سحرته، ويقال: ردَّ كيدَه في نحره: قابله بمثل أذاه وشرّه، أعاد الشرّ إلى فاعله، عامله بالمثل.

٢ – حاربه، أرادَهُ بسُوءٍ " ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم ﴾[الأنبياء: ٥٧]. والمقصود: ما قصده الشيطان وأراده بالإنسان من أفعال ونوايا سيئة، حقداً وحسداً.

(٣) تعريف الشيطان لغة: لفظ الشيّطان مشتق من: شطن؛ أي: بَعُدَ عن رحمة الله تعالى، أو عن الحق، أو شاط؛ أي: احترق، وكلا المعنيين اللغويين مقصودان، ينظر: لسان العرب: (شطن): (٨١/٨)، و(شيط): (١٧٦/٨)، فالأول باعتبار السبب والمقدمة، والثاني باعتبار النتيجة والعاقبة، أمّا **إبليس** فهو مصطلح يشير إلى زعيم الجنّ والشّياطين، فكلّ الشّياطين هي من ذريّة إبليس؛ كما يقال: إنّ كلّ البشر هم من ذرّيّة آدم عليه السّلام، ولفظ: إبليس مشتق من: أبلس أي: يئس وتحيّر وسكت لانقطاع الحجّة عنه، لسان العرب: (بلس): (١٤٠/٢– ١٤١).

(٤) انظره مختصرً من شفاء العليل لابن القيم ١٧١/١.

التزيين في القرآن الكريم:

دار فعل التزيين في القرآن كثيراً، ومن خلال تأمل الآيات التي ورد فيها التزيين فإن غالبه تزيين عقوبة واستدراج، وهو ما يمكن أن أسميه: التزيين السلبي أو تزيين النقمة، أي تزيين الأعمال غير الحسنة لأصحابها، أما التزيين الإيجابي أو تزيين المنة، وهو التزيين الذي يمتن الله تعالى به على عباده المؤمنين فإن عرض القرآن له أقل، كما سأذكره في آخر البحث بإذن الله.

وقد عرض القرآن للتزيين على النحو التالي:

من خلال استقراء آيات القرآن الكريم فقد ورد التزيين في كتاب الله تعالى: (٢٧) مرة، كما يلي:

جاء مضافاً إلى الله تعالى بصيغة المبني للمعلوم مرتين، وهو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤][(١)].

وورد بصيغة البناء للمجهول (١١) مرة، وهو كما سيأتي بيانه أنه من فعل الله تعالى، ولكنه أُبهم لحكمة، ومن الأمثلة: قوله تعالى: ﴿﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢] [(٢)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [التوبة: ٣٧]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد: ٣٣]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر: ٨]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ

(١) وهذا مغاير لما درج عليه الأسلوب القرآني، فإن الغالب أن الله تعالى لا ينسب لنفسه باسم الفاعل إلا ما كان حسناً كما سيأتي.

(٢) وسيأتي بيان ذلك مع الأمثلة مفصلاً في المبحث الثاني بإذن الله.

وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [غافر: ٣٧]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٤﴾ ﴾ [محمد: ١٤]، ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفتح: ١٢].

وجاء التزيين في القرآن مضافًا للشيطان الرجيم باسم الفاعل (٥) مرات على سبيل الخبر والتهديد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ ﴾ [الأنفال ٤٨].

وعلى جهة التهديد قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر: ٣٩].

ومما جاء مضافاً للشيطان قوله: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النحل: ٦٣]، وقوله: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

وجاء على جهة الامتنان منه تعالى على عباده بإنه تعالى حبب الإيمان للمؤمنين وزينه في قلوبهم مرة واحده، وعلى جهة الامتنان على العباد بتزيين السماء لهم بالمصابيح (٥) مرات كما سأعرض له في المبحث الخامس بإذن الله.

المبحث الأول: التزيين في القرآن الكريم مضافاً إلى الله تعالى، وتحته مطالب:

المطلب الأول: معنى التزيين من الله تعالى

فكما أشرت في التمهيد فقد جاء التزيين في القرآن الكريم تارةً مضافاً إلى الله تعالى، كما في قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وتارة مضافاً إلى الشيطان كما مر في الآيات السابقة.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن الله تعالى قد زيّن لكل عامل عمله؛ فقد زين تعالى للمؤمنين الإيمان والعمل الصالح فضلاً كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، وفي المقابل فإنه تعالى زين الكفر للكافرين عدلاً منه تعالى، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ففي الآية خبر بأن الله تعالى مُزين لكل عامل عمله على الحقيقة فضلاً وعدلاً، وكذلك فإن الشيطان مزين لأعمال الناس بما يعرضه ويحسنه، وذلك عن أمر ربه جل وعلا.

معنى التزيين من الله تعالى:

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾، قال ابن عطية – رحمه الله – وتزيين الله عمل الأمم هو ما يخلقه ويخترعه في النفوس من المحبة للخير والشر والاتباع لطرقه، وتزيين الشيطان هو بما يقذفه في النفوس من الوسوسة وخطرات السوء[(١)]. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: أَيْ: وَكَمَا زَيَّن تعالى لأهل الأصنام حُبَّ أَصْنَامِهِمْ وَالْمُحَامَاةَ لَهَا وَالِانْتِصَارَ لها، كَذَلِكَ زَيَّنَّ بحكمته لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ عَلَى الضَّلَالِ عَمَلَهُمُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، وَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَالْحِكْمَةُ التَّامَّةُ فِيمَا يَشَاؤُهُ وَيَخْتَارُهُ[(٢)].

وقال السمرقندي في بحر العلوم: معناه أن الله تعالى زين لهم، لأنه خلق فيهم الأشياء العجيبة، فنظر إليها الذين كفروا فاغتروا بها[(٣)]، وسيأتي للمسألة مزيد بيان في الرد على شبة نفاة تزيين الكفر للكافرين بإذن الله.

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٣٢/٢.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣١٥، بتصرف.

(٣) بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي: ١٣٩/١.

المطلب الثاني: حكمة الله تعالى في تزيين الأعمال للعاملين

إن الله تعالى منزه عن العبث؛ فما من شيء خلقه الله تعالى وقدره إلا لحكمة عظيمة، قد نعلمها وقد لا نعلمها، وقد جاء النص الصريح في القرآن الكريم أنه تعالى قد زين لكل عامل عمله، حسناً كان أو سيئاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام: ١٠٨]، واعلم أن من المهم بيانه أنه وإن كان التزيين الوارد في الآية محتمِلاً لعموم العمل، لكنه هنا محمول على تزيين العقوبة والاستدراج كما تقدمت الإشارة إليه، أي تزيين الأعمال غير الحسنة لأصحابها.

والحكمة من ذلك والله تعالى أعلم:

١- عقوبة للعاملين ومجازاة لهم على ذنوبهم: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾، قال في بحر العلوم: معناه هكذا زينا لِكُلِّ أُمَّةٍ، يعني: لكل أهل دين عملهم، يعني: ضلالتهم في الدنيا عقوبةً، ومجازاة لهم، (ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ) في الآخرة فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ يعني: فيجازيهم بذلك[1].

٢- للابتلاء، قال ابن عادل في اللباب: إنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى هو المزين لهم بما أظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة، وخلق الأشياء العجيبة والمناظر الحسنة، وإنما فعل ذلك ابتلاءً لعبادة؛ وذلك أنه جعل دار الدنيا ابتلاءً وامتحاناً، وركب في الطباع الميل إلى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الإلجاء والقسر الذي لا يمكن تركه، بل على سبيل التحبب الذي تميل النفس إليه مع إمكان. ردها عنه، فنظر الخلق إلى الدنيا أكثر من قدرها فأعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها[2].

وقال الماوردي – رحمه الله – قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: كما زينا لهم فعل ما أمرناهم به من الطاعات كذلك زينا لمن تقدم من المؤمنين فعل ما أمرناهم به من الطاعات، قاله الحسن.

والثاني: كذلك شبهنا لكل أهل دين عملهم بالشبهات ابتلاءً لهم حتى قادهم الهوى إليها وعَمُوا عن الرشد فيها.

و**الثالث:** كما أوضحنا لكم الحِجج الدالة على الحق كذلك أوضحنا لمن قبلكم من حِجج

(١) بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي ٤٧٤/١.

(٢) لباب التأويل للخازن ١٤٥/٢.

الحق مثل ما أوضحنا لكم[١].

وقال الخازن في لباب التأويل، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾، يعني كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمه عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية، وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤][٢]، هذه خلاصة لما ورد عن المفسرين في معنى تزيين الله تعالى الأعمال للعاملين وبيان الحكمة من ذلك. وسيأتي له مزيد بيان بإذن الله تعالى.

المطلب الثالث: الله تعالى هو المزين على الحقيقة لكل عمل

اعلم أن من المتقرر حقاً ومما لاشك فيه أن الله تعالى خلق العبد وخلق فعله حسناً كان أو ليس بحسن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

قال الشنقيطي في الأضواء: وقد نقل القرطبي كلاما جميلاً نصه: إن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان، والكافر يكفر ويختار الكفر بعد أن خلق الله إياه ؛ لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه، لأن وجود خلاف المقدر عجز، ووجود خلاف المعلوم جهل، قال القرطبي: وهذا أحسن الأقوال، وهو الذي عليه جمهور الأمة، ثم قال الشنقيطي: ولعل مما يشهد له قوله تعالى: (والله خلقكم وما تعملون)، هذا حاصل ما قاله علماء التفسير، وهذا الموقف كما قدمنا من مأزق القدر والجبر، وقد زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام، فكون الملك له لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، وكونه على كل شيء قدير يفعل في ملكه ما يريد، قَالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢][٣].

(١) تفسير الماوردي النكت والعيون ٢/ ١٥٥.

(٢) لباب التأويل للخازن ١٤٥/٢.

(٣) انظر أضواء البيان ١٩٧/٨ بتصرف، ونظره في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٣/١٨ وتناقله عنه غير واحد من المفسرين كالشوكاني وغيره.

المطلب الرابع: بيان ما جمع به العلماء بين مجيء التزيين مضافاً إلى الله، ومضافاً للشيطان

قد تقدم أن مما لاريب فيه أن الله تعالى مزين لكل عامل عمله على الحقيقة إما فضلاً كما قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧]، وإما عدلاً كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فظاهر الآية الكريمة أن الله تعالى مزين لأهل الطاعة الطاعة، ولأهل المعصية المعصية من سائر الكفر والمعاصي، كل ذلك بحكمته جل وعلا، والتزيين كما هو ظاهر جاء في هذه الآية الكريمة مضافاً إلى الله تعالى، بينما هو في آيات أخر قد جاء مضافاً باسم الفاعل إلى الشيطان الرجيم كما أشرت إليه في التمهيد بشواهده، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: ٢٤]، **فكيف الجمع بين الآيات في هذه المسألة:** قال ابن عطية – رحمه الله تعالى– في المحرر الوجيز:

ونُسب التزيين إلى الشيطان، وقد قال تعالى في آية أخرى (كَذلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ)، [الأنعام: ١٠٨]، لأن تسبب الشيطان ووسوسته تجلب حسن الفكر في قلوبهم، وذلك المجلوب الله يخلقه، فإن نسب إلى الله تعالى فبأنه خالقه، وإلى الشيطان فبأنه مسببه[(١)] [(٢)].

وقال ابن الجوزي: معنى: «زَيّن» بفتح الزاي والياء، على معنى: زيّنها الله لهم.

والثاني: أنه يضاف إلى الشيطان، روي عن الحسن، والتزيين من الله تعالى: هو التركيب الطبيعي فإنه؛ وضع في الطبائع محبّة المحبوب لصورة فيه تزينت للنفس، وذلك من صنعه، وتزيين الشيطان بإذكار ما وقع من إغفاله مما مثله يدعو إلى نفسه لزينته، فالله تعالى يزيّن بالوضع، والشيطان يزيّن بالإذكار[(٣)].

كلام ابن القيم في التزيينين:

وقد عرض العلامة ابن القيم لتوجيه اختلاف الإسناد في هذه المواضع فقال: فأضاف الله تعالى التزيين إليه – سبحانه – خلقاً ومشيئة، ونسبه إلى سببه – يعني الشيطان – ومن أجراه على يديه تارة، أما الإسناد إلى العبد فلأنه أحب تزيين الشيطان، ولا ريب أن إسناد التزيين إلى الله حقيقة إذ هو خالقه ومشيؤه، أما الإسناد إلى الشيطان فلأنه سبب داع ومؤثر؛ أما العبد فلأنه

(١) انظر تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ٢/٢٩٢.

(٢) نحوه قدمته عن ابن القيم رحمه الله في التمهيد.

(٣) زاد المسير ١/١٧٦.

مباشر للفعل، والإسناد إلى الشيطان والعبد ليس إسناد حقيقة، وهذا التزيين منه سبحانه حسن إذ هو ابتلاء واختبار بعيد؛ ليتميز المطيع منهم من العاصي والمؤمن من الكافر(١).

وقال القاسمي: وللراغب كلام بديع ينحلّ به مثل هذا الإشكال، -أي الاختلاف في فاعل التزيين -، وهو قوله:

إن الفعل كما ينسب إلى المباشر له، ينسب إلى ما هو سببه ومسهّله، وعلى هذا يصحّ أن ينسب فعل واحد تارة إلى الله تعالى، وتارة إلى غيره، نحو قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وفي موضع آخر: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فأسند الفعل في الأول إلى المباشر له، وفي الثاني إلى الآمر به، وهكذا بتصوّر ما ذكر تزول الشبهة فيما يرى من الأفعال منسوباً إلى الله تعالى، منفياً عن الله تعالى، نحو قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩](٢).

وقال ابن عاشور: وإسناد تزيين أعمال المشركين إلى الله في هذه الآية وغيرها مثل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، لا ينافي إسناد ذلك إلى الشيطان في قوله الآتي ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، فإن وسوسة الشيطان تجد في نفوس أولئك مرتعاً خصباً ومنبتاً لا يقحل(٣)، فالله تعالى مزين لهم بسبب تطور جبلة نفوسهم من أثر ضعف سلامة الفطر عندهم، والشيطان مزين لهم بالوسوسة التي تجد قبولا في نفوسهم، كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾

(١) انظره في شفاء العليل ١٠٣/١، وفي المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه ٢٦/١.

(٢) انظر محاسن التأويل للقاسمي ٩٣/٢، وتفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٤٣٤.

(٣) قال في تهذيب اللغة، قحل ٣٣/٤: قَالَ اللَّيْث: القاحِل: الْيَابِس من الْجُلُود. سقاء قاحِلٌ، وشيخٌ قاحل، وَقد قَحَلَ يقْحَل قُحُولاً. وَقَالَ أَبُو عُبَيْد: قَحل الرجل وقَفَل قُحُولاً وقُفولاً إِذا يَبس، وَقَالَ الراجز فِي صفة الذِّئب:

صَبَّ عَلَيْهَا فِي الظلام الغَيْطلِ ... كلّ رَحِيب شِدْقُه مُسْتَقْبلِ

يَدُقّ أوساطَ الْعِظَام الْقُحَّلِ ... لَا يَذْخَرُ العَامَ لِعَامٍ مُقْبِلِ.

وقال في الصحاح: قحل الشيء يقحل قحولا: يبسَ، فهو قاحِلٌ. والمُتَقَحِّلُ: الرجلُ اليابس الجلد السيئ الحال، وقحل بالكسر قحلا مثلا، فهو قحل. وقحل الشيخ قحلا: يبس جلده على عظمه. الصحاح قحل (١٧ ٩٩/٥).

[ص: ٨٢، ٨٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢][1].

إذا يظهر مما نقلته عن المفسرين أن الله تعالى هو المزين على الحقيقة لكل عمل يعمله الإنسان، إما فضلاً أو عدلاً، وهذا هو التزيين الحقيقي، والشيطان مزين بالعرض والتحسين والوسوسة والإغواء والأز، وغير ذلك من طرق الشيطان في الإواء والتضليل، وبذلك يحصل الجمع بين التزيينين كما جاء بهما صريح القرآن[2]، والله تعالى أعلم.

(١) انظره بتصرف من التحرير والتنوير ٢٢١/١٩.

(٢) يأتي لهذه المسألة مزيد إيضاح في المطلب الأول من المبحث الثاني الآتي بعده.

المبحث الثاني: الحكمة من إبهام فاعل تزيين الأعمال السيئة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التأدب مع الله تعالى في عدم نسبة عمل السوء إليه

اعلم أنه في غالب الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر تزيين العقوبة أو الاستدراج فإنه يأتي مبهماً، مسنداً إلى ما لم يسم فاعله، وقد جاء ذلك لحكمة، بينها المفسرون رحمهم الله تعالى، فقالوا: إنه وإن كان غالب ذلك التزيين مسنداً إلى ما لم يسم فاعله، لكنه من فعل الله تعالى وإرادته عدلاً بلاشك؛ فإن الكل بتقديره تعالى وعلمه الأزلي؛ لكن القرآن الكريم من باب التأدب مع الله لم يسند إلى المولى تعالى باسم الفاعل إلا ما كان حسناً نافعاً في الغالب، أما ما كان غير ذلك فإنه يذكره تعالى باسم المفعول كما يتضح ذلك من خلال استقراء آيات القرآن الكريم، فإن الله تعالى لا ينسب لنفسه الشيء القبيح، أما النعمة فإنه ينسبها الله تعالى إلى نفسه؛ لأن النعمة كلها خير، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [الزخرف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴾ [الإسراء: ٨٣]، ولم ينسب سبحانه النعمة لغيره إلا في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]؛ فهي نعمة خاصة بعد نعمة الله تعالى عليه؛ ومن هذا المنحى قال تعالى: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة: ٧]، ولم يقل أغضبت عليهم؟، جاء باسم المفعول، وأسنده للمجهول، وذلك ليعم الغضب عليهم من الله والملائكة وكل الناس، حتى أصدقاؤهم يتبرأ بعضهم من بعض حتى جلودهم تتبرأ منهم، ولذا جاءت (المغضوب عليهم) لتشمل غضب الله وغضب الغاضبين[(١)].

قال في تفسير المنار: وقد زين تعالى للأمم أخلاقها وأعمالها المكسوبة والموروثة، وما كان تزيينه عقوبةً واستدراجاً فإنه لا يسند إلى الله تعالى واضع السنن وكاتب المقادير، وأما تزيين القبيح من عمل واعتقاد فيسنده تارة إلى الشيطان، وشواهده كثيرة، وورد إسناده إلى الله تعالى في أول سورة النمل فقط، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ ﴾ [النمل: ٤]، ويقابله إسناد تزيين الإيمان إليه تبارك اسمه في سورة الحجرات فقط في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾

(١) انظر لمسات ١/٣٠ بتصرف.

[الحجرات: ٧]، ويجمعهما معاً إسناد الأعمال إليه تعالى في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٠٨][(١)].

قلت: ومما روعي فيه هذا الأدب قوله تعالى في إقامة الجدار: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا ﴾ [الكهف: ٨٢]، ونسب الخضر إلى نفسه خرق السفينة لأنه عيب؛ ولم ينسبه إلى الله تعالى تنزيهاً له فقال: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: ٧٩].

ومما أسنده الله تعالى إلى نفسه باسم الفاعل، قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات: ٦]، وما جاء في معناه، فقد أسند هذا التزيين الحسن إلى ذاته العلية وهكذا، والعلم عند الله تعالى.

المطلب الثاني: الحكمة من إبهام المزين للناس.

اعلم أنه كما جاء فاعل التزيين مبهماً في القرآن لحكم عظيمة كما سبق، كذلك أُبهم المزين كثيراً في القرآن الكريم لأغراض داعية لذلك أيضا:

قال القاسمي – رحمه الله تعالى –: فأبهم تعالى المزيّن في الآيات لأسباب:

١- ليشمل ذلك أدنى التزيين الواقع على لسان الشيطان، وأخفى التزيين الذي يكون من استدراج الله كما في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٠٨][(٢)].

٢- أو لأن المزين أمور كثيرة، وخص التزيين بالكفار، إذ المراد من قوله: (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحياة الدنيا) ذمهم والتحذير من خلقهم، ولهذا لزم حمل التزيين على تزيين يُعد ذماً، فلزم أن يكون المراد منه تزييناً مشوباً بما يجعل تلك الزينة مذمة، وإلا فإن أصل تزيين الحياة الدنيا المقتضي للرغبة فيما هو زين أمر ليس بمذموم، إذا روعي فيه ما أوصى الله برعيه، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢][(٣)].

هذه بعض الحكم التي ذكرها المفسرون لإبهام ما وقع التزيين عليه في القرآن الكريم، وجاء مبهماً، والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير المنار ٥٥٨/٧، بتصرف.

(٢) تفسير محاسن التأويل ٢/ ٩٣.

(٣) انظره في التحرير والتنوير ٢٩٥/٢، بتصرف.

المطلب الثالث: نماذج من الآيات الواردة في تزيين العقوبة والاستدراج

أمثلة تزيين العقوبة والاستدراج كثيرة منها ما ورد خبراً على تزيين الحياة الدنيا للكافرين كما زُين لهم شهواتهم وسائر أعمالهم السيئة، ومن أظهر الأمثلة قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

جملة ما ورد عن المفسرين في معنى تزيين الحياة الدنيا للكافرين:

أَنه خلق الْأَشْيَاء الْحَسَنَة والمناظر المعجبة فتعلقوا بها، أو تعلقوا بما أظهره الله في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الأشياء العجيبة والمناظر الحسنة، وإنما فعل ذلك ابتلاءً لعباده، أو لتَمَكَّنَ حب الدنيا من نفوسهم واشتداد توغلهم في استحسانها، أو أوهموهم أن لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا، وطلب الحرص عليها(١).

قال أبو الليث السمرقندي: معناه أن الله تعالى زين لهم، لأنه خلق فيهم الأشياء العجيبة، فنظر إليها الذين كفروا فاغتروا بها(٣).

قال البغوي رحمه الله تعالى: الأكثرون على أن المزين هو الله تعالى، والتزيين من الله تعالى هُوَ: أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر العجيبة، فنظر الخلق إليها، بأكثر من قدرها فأعجبهم حسنها فَفُتِنُوا بِهَا، وقال الزجاج زين لهم الشيطان(٢).

وقال السمعاني: قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾، فَإِن الله تعالى قد زهد الخلق في الدنيا، ورغبهم في الآخرة، وقال الأكثرون: المزين هو الله تعالى، والتزيين من الله هو أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر المعجبة، فنظر الْخلق إليها بأكثر من قدرهَا، فأعجبهم ذلك، ففتنوا به؛ فلذلك التزيين من الله(٣).

هذا جملة ما ورد عن المفسرين في معنى تزيين الحياة الدنا للكافرين، وتلاحظ أنه تزيين عقوبة واستدراج، عياذاً بالله.

ومما زُين في عيون الناس ما جاء في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ

(١) أسند معناه الطبري في جامع البيان عن ابن جريج، وعكرمة ٢٧٣/٤، وانظر لباب التأويل للخازن ١٤١/١، بحر العلوم: ١٣٩/١.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٢٦٩/١.

(٣) تفسير السمعاني ٢١٢/١.

وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

لما كان المقام مقام تمثيل لتزيين العقوبة والاستدراج لن أرجح فيمن هو المزين (اسم الفاعل)، وإنما أُعنى ببيان وجه التزيين، بقدر المستطاع:

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يخبر تعالى عما زُين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في الصحيح عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه، عليه الصلاة والسلام، قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[(١)]، فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه[(٢)].

قلت: فهذه الأمور المذكورة مما تهفو النفوس إليها، وتتعلق بها، فإن سار الناس في طلبها، وحسنت نياتهم بحسب مقتضى أمر الشارع فتزيينها لهم حينئذ تزيين حسن، وإن حصلوها بخلاف ذلك فتزيينها لهم تزيين عقوبة، ومجيء التزيين مبهماً إلى ما لم يسم فاعله مرجح للثاني، والله أعلم.

قال في اللباب: والفاعل المحذوف هو الله تعالى؛ لما ركب في طباع البشر من حب هذه الأشياء، وقيل: هو الشيطان، فالأوّل قول أهلِ السنة[(٣)].

وقال الآلوسي: والمزين هو الله تعالى، والتزيين للشهوات يطلق ويراد به خلق حبِها في القلوب وهو بهذا المعنى مضاف إليه تعالى حقيقة لأنه لا خالق إلا هو، ويطلق ويراد به الحض على تعاطي الشهوات المحظورة فتزيينها بالمعنى الثاني مضاف إلى الشيطان؛ تنزيلا لوسوسته وتحسينه منزلة الأمر بها والحض على تعاطيها[(٤)].

إذا جملة ما ورد في معنى التزيين: انه ما ركبه تعالى في الطباع، وخلقه في القلوب من حب هذه الأشياء والتعلق بها فطرة.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

هذه الآيات ونظائرها مما سيأتي مما جاء فيه الخبر بأن الله تعالى يزيين للعاملين العمل السيء عقوبة منه تعالى، والمراد تزيين العمل السيء كما في السياق الآتي، لا تزيين مطلق العمل.

(١) أخرجه البخاري باب ما يتقى من شؤم المرأة: ٨/٧، (٥٠٩٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٩/٢.

(٣) اللباب لابن عادل ٧٠/٥.

(٤) روح المعاني للآلوسي ٢/ ٩٥ بتصرف.

قال القرطبي، معناه: زين لهم الشيطان عبادة الأصنام، وأوهمهم أنهم أفضل من المسلمين[١].

وقال ابن كثير رحمه الله: أي حسن لهم ما هم فيه من الجهالة والضلالة، قدراً من الله وحكمة بالغة، لا إله إلا هو ولا رب سواه [٢]، ونحوه قول النسفي، قال: قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما زين للمؤمن إيمانه، كذلك ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بتزيين الله تعالى، كقوله: (زينا لهم أعمالهم)، وقوله: ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي سائر أعمالهم، [٣]، قلت: مع بيان ما زينه الله تعالى لهم وهو سائر أعمالهم السيئة، فإن غالب المفسرين ذهبوا إلى أن المزين لهم هو الله تعالى، قال في اللباب وقوله: (كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ): المزين هو الله تعالى؛ ويدل عليه قوله (زينّا لهم أعمالهم)؛ ولأن حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعي وحصوله لا يكون إلا بخلق الله تعالى فدل ذلك على أن المزين هو الله تعالى، وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان، [٤])، ويرده ما تقدم.

وأنت ترى أن كلا الأمرين محتمل؛ فإن الله تعالى هو المزين على الحقيقة لكل عمل، والشيطان مزين بالعرض والتحسين.

ومنه قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧]، في هذه الآية تصريح بأن المزين لهم هو السيء من أعمالهم، لا عمومها، قال أبو الليث السمرقندي: أ ي حُسن لهم قبح أعمالهم[٥].

قلت: ويقال في خبر هذه الآية ما سبق من أن كلا الأمرين محتمل، أي قد يضاف فعل التزيين إلى الله تعالى حقيقة، وقد يضاف إلى الشيطان تسويلا وتحسينا وإغواء، والكل لحكمة.

ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢].

قال ابن عاشور: فالمراد بالمسرفين هنا الكافرون الذين أسرفوا على أنفسهم بالكفر؛ واختير لفظ للمسرفين لدلالته على مبالغتهم في كفرهم، فالتعريف في المسرفين للاستغراق ليشمل المتحدث عنهم وغيرهم، وأسند فعل التزيين إلى المجهول لأن المسلمين يعلمون أن المزين للمسرفين هو خواطرهم الشيطانية، فقد أسند فعل التزيين إلى الشيطان غير مرة، والمعنى أن شأن الأعمال الذميمة

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧٩/٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٣١/٣.

(٣) مدارك التنزيل للنسفي ٥٣٤/١.

(٤) بدأ به الزمخشري قائلاً: ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾، أي زينه الشيطان، وذكر الوجه الآخر، انظر الكشاف ٦٣/٢.

(٥) بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي ٢/ ٥٧.

القبيحة إذا تكررت من أصحابها أن تصير لهم عادة تُحسن عندهم قبائحهم، فلا يكادون يشعرون بقبحها فكيف يقلعون عنها كما قيل:

يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن[1]

ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٣٣].

قلت: هذا أيضا مما جاء به التصريح بأن المزين للكافرين هو السيء من أعمالهم، لا الحسن، والكلام في تعيين المزين يقال فيه ما سبق، لكن ما ختمت به هذه الآية من التعليل بأن الهداية والإضلال بيد الله تعالى وحده يرجح أن فاعل التزيين في الآية هو الله تعالى، والله أعلم.

من حِكم تزيين العمل السيء لصاحبه:

اعلم أن الأكثر مما زُين للناس تزيين العقوبة: تزيين الحياة الدنيا لهم، وتزيين حب الشهوات المختلفة التي يتعلقون بها، وقد تقدم مثاله، وأيضا مما جاء في صريح الآيات الكثيرة: تزيين العمل السيء لصاحبة عدلاً من الله تعالى، والآيات في هذا كثيرة، منها مع ما تقدم:

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨]، وغيرها مما جاء في هذا المعنى.

سبب نزول الآية:

للمفسرين قولان فيمن نزلت فيه الآية، الأول: منهم من قال نزلت فِي أبي جهل وأبي بن خلف وعتبة وشيبة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث وعقبة بن أبي معيط وأشباههم، والقول الثان: أَن الْآيَة نزلت في أهل الأهواء و البدع، قال السمعاني: والأولى أن يقال: إن الآية نزلت فِي الكفار؛ لِأَن عليه أكثر اهل التفسير، وعن قتادة: أنه قال: منهم الخوارج الذين يستحلون الدماء والأموال[2].

والآية كما يظهر فيها تسلية للمؤمنين، لئلا يغتمّوا لكفرهم ولا يتحسَّروا على تركهم الإيمان[3].

والمعنى على كل، أي: أَفمن كان هكذا قد أضله الله ألك في حيله؟ لَا حيلة لك فيه، ثم علل

(١) التحرير والتنوير ١١/١١٢، بتصرف.

(٢) تفسير السمعاني ٤/٣٤٧.

(٣) الوجيز للواحدي ١/٨٩٠، بتصرف.

تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ أَيْ: أي بقدره كان ذلك، ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾ أَيْ: لا تأسف على ذلك؛ فإن الله حكيم في قدره، إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة البالغة، والعلم التام؛ ولهذا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾، قَالَ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ مِنْهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى مَا عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[(١)].

ما ورد عن المفسرين في معنى تزيين العمل السيء لعامله:

قال ابن القيِّم في شفاء العليل: وهذا التزيين منه سبحانه حسن؛ إذ هو ابتلاء واختبار، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ [الكهف: ٧]، فإذا آثر العاصي القبيح واختاره وأحبه ورضيه لنفسه زينه سبحانه له وأعماه عن رؤية قبحه وربما رآه حسناً عقوبة له [(٢)].

وقال ابن عادل في اللباب: ومعنى: زين له سوء عمله، شُبه له وموه[(٣)]، وحسن له سوء عمله أي قبح عمله فرآه حسناً؛ زين له الشيطان ذلك بالوسواس، وفي الآية حذف مجازه: أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقاً كمن هداه الله فرأى الحق حقاً والباطل باطلاً؟ ، «فإنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاء»، وذلك لأن أشخاص الناس متساوية في الحقيقة والإساءة والإحسان والسيئة والحسنة تمتاز بعضها عن بعض فإذا عرفها البعض دون البعض لا يكون ذلك بالاستقلال منهم فلا بدّ من الاستناد إلى إرادة الله تعالى، [(٤)]ولما انساق الإنسان لذلك التحسين السيء للعمل غلب هواه على عقله، حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والتقبيح حسناً[(٤)].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴾ [غافر: ٣٧].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٣٥/٦، والحديث رواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٨١٢) "موارد" والحاكم في المستدرك (٣٠/١) من طريق الأوزاعي عن رَبِيعَةُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الدَّيْلَمِيِّ بنحوه، ورواه الترمذي في السنن برقم (٢٦٤٢) من طريق إسماعيل بن عياش عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ عَنْ عبد الله الديلمي بنحوه، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن".

(٢) شفاء العليل ١/ ١٠٣، في الباب الخامس عشر في الطبع والختم والقفل، وسيأتي له مزيد بيان ص ٢٧.

(٣) قال في مختار الصحاح: (موه) الشيء (تمويها) من (التمويه) وهو التلبيس عليه، ٣٠١/١.

(٤) انظر تفسير اللباب ١٠٥/١٦، بتصرف.

قال الزجاج: موضع الكاف نصب، المعنى: (زين لفرعون سوء عمله) مثل ما وصفنا[1].

وقال ابن كثير: قوله: ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، عقوبة له بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى عليه السلام[2].

كما ترى في الآية خبر عما عُوقب به فرعون من تزيين عمله السيء في عينة مجازةً له على عتوه وعناده واستكباره. والأكثر على أن الله تعالى هو فاعل التزيين في هذه الآية[3].

ونحوه أيضا قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢].

وبعد: فقد عُرض في هذه الآيات التزيين مبهماً مبنياً للمجهول، وقدمت أنه وإن كان كذلك فإنه من فعل الله تعالى فهو مقدره ومشيؤه، ولكن مقام التأدب مع الله تعالى بعدم نسبة الأمر السيء إليه تعالى باسم الفاعل، دفع إلى إبهام الفاعل، بخلاف الأمر الحسن فإنه يضاف إليه تعالى بلا إبهام[4].

فأنت ترى أنه ينسب تزيين الخير إلى نفسه بخلاف تزيين السوء، إنك قد تجد مثلاً قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤]، ولكن لا تجد: زينا لهم سوء أعمالهم؛ فإن الله لا ينسب السوء إلى نفسه، ومن هذا الباب ما تراه في القرآن الكريم في الكلام على الذين أوتوا الكتاب، فإنه على العموم إذا كان المقام مقام مدح وثناء، أظهر ذاته ونسب إيتاء الكتاب إلى نفسه: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وإذا كان المقام مقام ذم وتقريع قال: ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾[5]، والله تعالى أعلم.

---

(١) معاني الزجاج ٤/٣٧٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧/١٤٤.

(٣) قال الآلوسي: وَكَذٰلِكَ أي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ أى عمله السيّء، فانهمك فيه انهماكاً لا يرعوى عنه بحال وَصُدَّ، أي: صرف ومنع عَنِ السَّبِيلِ، أي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى وبالتوسط هو الشيطان. روح المعاني ٨/ ١٨٤.

(٤) وقد تقدم ذلك بشيء من التفصيل في المطلب الرابع من المبحث الأول عند بيان الجمع بين مجيء التزيين مضافاً إلى الله تعالى تارة ومضافاً إلى الشيطان تارة أخرى.

(٥) انظر بتصرف: أسرار البيان في التعبير القرآني، لفاضل السامرائي عند ذكر الفروق التعبيرية بين البقرة والأعراف، من خلال المكتبة الشاملة ولم أجد رقماً للصفحات هناك.

المبحث الثالث: التزيين في القرآن الكريم مضافاً إلى غير الله، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من التزيين مضافاً للشيطان

اعلم أن مما أضافه الله تعالى إلى الشيطان في كتابه: تزيين الأعمال السيئة للناس، وهذا طريق عامر للشيطان، ومنار واضح، ما فتيء الشيطان سالكاً له؛ لإيقاع الإنسان بكل ما هو قبيح نكاية به، وقد أشرت في التمهيد إلى أن تزيين العمل السيء للإنسان نُسب صريحاً إلى الشيطان في جملة من الآيات، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣]، وكما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وورد مثل ذلك في الكثير من الآيات، وقد رتب تعالى كما يظهر على تزيين الشيطان للإنسان عمله أو سيئته: إيقاع الإنسان في المعاصي، من خلال تحسين المعصية، كما قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: زيّن لهم: أي حَسّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم[(١)].

طريقا الشيطان في التزيين للإنسان:

سلك الشيطان في مهمة إيقاع الإنسان في الشر طريقين:

١/ الوسوسة:

فغالباً ما يتصدر سياق بيان مهام الشيطان لإيقاع الأذى بالمؤمنين: الوسوسة لهم؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا ﴾ [الأعراف: ٢٠]، وقوله تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ ﴾ [طه ١٢٠]، فالوسوسة من الأعمال المحببة للشيطان، فقد مارسها منذ القدم مع أبينا آدم وزوجه وحواء عليهما السلام.

جملة ما ورد عن أهل اللغة في معنى الوسوسة:

قالوا: إن الوَسْوَسَة الْكَلَامُ الْخَفِيُّ فِي اخْتِلَاطٍ، وَفِي الْحَدِيثِ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْده إِلَى الوَسْوَسَة)[(٢)]، والوَسْواس: هُوَ الشَّيْطَانُ الَّذِي يُوَسوس فِي صُدُورِ النَّاسِ[(٣)].

وجملة ما ورد عن مفسري السلف لم يخرج عن هذا المعنى، قالوا: إنها السعي فِي الْمَكْرِ

(١) انظر جامع البيان للطبري ٣٥٧/١١.

(٢) وأخرجه أبو داوود باب رد الوسوسة ٤/ ٣٢٩، وأحمد ١٠/٤ مسند ابن عباس، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٢٤٨/٩وصححه ابن حبان (١٤٧) من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما.

(٣) انظر اللسان (وسوس).

وَالْخَدِيعَةِ والتلبيس والتمويه للإيقاع في الضرر[1].

٢/ الإغواء:

ومن تزيين الشيطان للإنسان إغواؤه [2]: من خلال إظهار وتحسين ما في المعصية من اللذة، قال ابن عباس: يريد زيّن الشيطان لهم الضلالة التي كانوا عليها فأصروا على معاصي الله عز وجل [3].

وقال ابن عاشور: وقد وجد الشيطان من طباعهم عوناً على نفث مراه فيهم، فحسّن لهم تلك القساوة، وأغراهم بالاستمرار على آثامهم وأعمالهم، ومن هنا يظهر أن الضلال ينشأ عن استعداد الله في خلقة النفس، والتزيين: جعل السيء زيناً، [4].

جملة ما ورد عن المفسرين في معنى الإغواء:

قالوا: إنه بمعنى الإضلال، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩ – ٤٠].

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى-: يقول تعالى مخبرا عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب: (بما أغويتني)، قال بعضهم: أقسم بإغواء الله له، قلت: ويحتمل أنه بسبب ما أغويتني وأضللتني (لأزينن لهم) أي: لذرية آدم، عليه السلام (في الأرض) أي: أحبب إليهم المعاصي وأرغبهم فيها، وأؤزهم[5]، إليها، وأزعجهم إزعاجا، (ولأغوينهم) أي: كما أغويتني وندرت على ذلك[1].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠٢/٥، وتفسير تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١/ ٢٨٥، وغيرهما.

(٢) قال الزجاج: غوي الرجل يغوى وهو غاو: إذا ضل، وفي لسان العرب: (غوي) الرَّجلُ: ضلَّ وانقاد للهوى، والغَيُّ: الضَّلالُ والخَيْبَة. غوي: مصدر غَوَى: الغَيُّ، والغَوايةُ: الانهماك في الغَيّ. ويقال: أغواه إذا أضله. وغَوِيَ الفصيلُ يَغْوَى غَوىً إذا لم يُصِبْ رِيّاً من اللَّبَنِ حتى كاد يَهْلك، ٤/ ٤٥٦ (غوى) العين، وفي مقاييس اللغة: (غَوِيَ) الْغَيْنُ وَالْوَاوُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ بَعْدَهُمَا أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الرُّشْدِ وَإِظْلَامِ الْأَمْرِ، وَالْآخَرُ عَلَى فَسَادٍ فِي شَيْءٍ. فَالْأَوَّلُ الْغَيُّ، وَهُوَ خِلَافُ الرُّشْدِ، وَالْجَهْلُ بِالْأَمْرِ، وَالِانْهِمَاكُ فِي الْبَاطِلِ. يُقَالُ غَوَى يَغْوِي غَيًّا. قَالَ: فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ. . . وَمَنْ يَغْوَ لَا يَعْدَمْ عَلَى الْغَيِّ لَائِمَا. معجم مقاييس اللغة ٣٩٩/٤.

(٣) لباب التأويل للخازن ١١٢/٢، يشير رضي الله عنما إلى التزيين المضاف للشيطان في قوله تعالى: (وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام ٤٣].

(٤) التحرير والتنوير ٢٢٩/٧.

(٥) قال في لسان العرب: والأَزُّ: التَّهْيِيجُ والإِغراءُ. وأَزَّهُ يَؤُزُّهُ أَزّاً: أَغراه وَهَيَّجَهُ، وأَزَّهُ: حَثَّه. وقال ابْنُ الأَعرابي: الأُزَّازُ الشَّيَاطِينُ الَّذِينَ يَؤُزُّونَ الكفارَ، وأَزَّه أَزّاً وأَزِيزاً مِثْلُ هَزَّه.

وقال في التسهيل: قوله (بما أغويتني) الباء للسببية، أي لأغوينهم بسبب إغوائك لي، وقيل: للقسم كأنه قال: بقدرتك على إغوائي لأغوينهم، والضمير لذرية آدم[٢].

قال القرطبي: وتزيينه هنا بوجهين: إما بفعل المعاصي، وإما بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة. ومعنى: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي لأضلنهم عن طريق الهدى[٣].

هذه خلاصة لما ورد عن المفسرين في معنى الإغواء، تدور الأقوال في مجملها إلى الإضلال والإغراء على المعاصي.

المطلب الثاني: ما جاء من التزيين مضافًا إلى غير الشيطان:

ومنه: ١/ مجيء التزيين مضافاً للمشركين:

قد جاء التزيين في القرآن مرة واحدة مضافاً للمشركين: كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام ١٣٧].

الآية الكريمة في سياق الخبر عما أراده الشيطان بالمشركين من تزيين أعمالهم القبيحة لهم، مكراً ونكاية بهم، قال المفسرون: وكما زين لهم تحريم الحرث والأنعام كما في السياق السابق لهذه الآية، كذلك زين لكثير من المشركين، قتل أولادهم شركاؤهم، قال مجاهد والحسن والسدي وابن زيد: شركاؤهم، أي: شياطينهم، زينوا وحسنوا لهم وأد البنات خيفة العيلة، سميت الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله وأضيف الشركاء إليهم لأنهم اتخذوها[٤]، وقال الكلبي: شركاؤهم سدنة آلهتهم، فهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل الأولاد، وكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله [٥]، أو ما كانوا يفعلونه من قتل البنات خشية العار، وقتل الأولاد خشية الفقر[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٣٥.

(٢) التسهيل لابن جزي ١/ ٤١٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ / ٢٧.

(٤) أسنده عنهم الطبري في جامع البيان ١٢/ ١٣٦، ١٣٧.

(٥) حكاه الماوردي ١٧٤/٢ عن الكلبي. وذكر قولين آخرين في المزين خلاف الشياطين، فمنهم من قال: سدنة الأصنام، أو الغواة من الناس.

(٦) وهذا الثاني ما عليه أكثر المفسرين انظر جامع البيان ١٢/ ١٣٦، معالم التنزيل للبغوي ١٦٢/٢، وتفسير

٢/ ومنه مجيء التزيين مرة واحدة مضافاً للقرناء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [فصلت: ٢٥].

قلت: والمراد بالقرناء هنا: هم الشياطين أيضاً.

قال الطبري رحمه الله تعالى: (قيضنا) أي: وبعثنا[١]، لهم نُظراء من الشياطين، فجعلناهم لهم قرناء قرنَّاهم بهم يزيِّنون لهم قبائح أعمالهم، فزينوا لهم ذلك، ثم نقل معناه عن مجاهد والسدي[٢].

وهو مال يذكر غيره جلة المفسرين، قال الثعلبي، وَقَيَّضْنا: سلّطنا وبعثنا ووكلنا لَهُمْ قُرَناءَ نظراء من الشياطين[٣]. وقال القرطبي: وهؤلاء القرناء من الجن والشياطين ومن الإنس أيضا[٤]، لكن هو الراجح أي أنهم الشياطين، بدلالة السياق، والعلم عند الله تعالى.

القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٤٤، وغيرهم.

(١) وقال الجوهري: (قيّض) الله تعالى فلانا لفلان: أي جاءه به وأتاحه له، مختار الصحاح: ١/٢٦٣(ق، ي، ض).

(٢) جامع البيان ٢١/ ٤٥٨.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٨/٢٩٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٤٣٥.

المبحث الرابع: دلالة القرآن الكريم على تزيين الكفر للكافرين، وتحته مطالب:

المطلب الأول: النزاع بين أهل السنة ومخالفيهم في نسبة تزيين الكفر لله تعالى

جاء في صريح آيات القرآن الكريم الخبر منه تعالى أنه قد زين لكل عمل عمله حسناً كان أو سيئاً، ومن ذلك تزيين الكفر للكافرين عدلاً منه تعالى، فالواجب على من سلم الله له عقله، ورزقه الفهم الصحيح أن يسلم لما حكم به أحكم الحاكمين، ورغم ورود صريح الأدلة من القرآن على ماذُكر إلا أن لكن هناك من الفرق المنتسبة للإسلام من نازع في ذلك، ومن هنا قد حصل النزاع بين أهل السنة ومخالفيهم كيف يزين الله تعالى لأهل الكفر والضلال كفرهم وضلالهم، وقد عرض لهذه المسألة جملة من المحققين المتقدمين والمتأخرين، ومن أمثل من عرض لها بشيء من التفصيل: ابن القيّم رحمه الله تعالى، فمما قال: وهذا التزيين منه تعالى حسن؛ إذ هو ابتلاء واختبار ليتميز المطيع منهم من العاصي والمؤمن من الكافر كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، وهو من الشيطان قبيح، وأيضا فتزيينه سبحانه للعبد عمله السيئ عقوبة منه له على إعراضه عن توحيده وعبوديته وإيثار سيء العمل على حسنه فإنه لا بد أن يعرفه سبحانه السيئ من الحسن فإذا آثر القبيح واختاره وأحبه ورضيه لنفسه زينه سبحانه له وأعماه عن رؤية قبحه بعد أن رآه قبيحاً، وكل ظالم وفاجر وفاسق لا بد أن يريه الله تعالى ظلمه وفجوره وفسقه قبيحا فإذا تمادى عليه ارتفعت رؤية قبحه من قلبه فربما رآه حسنا عقوبة له[(١)].

وكذلك ابن عادل الحنبلي في اللباب، ومما اختصرته منه قوله – رحمه الله وأحسن مثواه–:

احتج أهل السنة بهذه الآية الكريمة على أن الله – تعالى – زين للكافر الكفر، وللمؤمن الإيمان، وللعاصي المعصية، وللمطيع الطاعة لظاهر النص، لأنا بينا أن صدور الفعل عن العبد، يتوقف على حصول الداعي، وأن تلك الداعية لا بد وأن تكون بتخليق الله – تعالى –، ولا معنى لتلك الداعية إلا عمله واعتقاده، أو ظنه باشتمال ذلك الفعل على نفع زائد، ومصلحة راجحة، وإذا كانت تلك الداعية حصلت بفعل الله – تعالى –، امتنع أن يصدر عن العبد فعل، ولا قول، وحركة، إلا إذا زين الله – تعالى – ذلك الفعل في قلبه[(٢)]، ولعل فيما ذكره رحمه الله هنا غنية عن التطويل.

وجاء في التعرف لمذهب التصوف: قال بعضهم: اختار المؤمن الإيمان وأحبه واستحسنه وأراده وآثره

---

(١) انظر شفاء العليل ١/ ١٠٣.

(٢) انظر تفسير اللباب لابن عادل: ٣٦٦/٨، بتصرف، ولشيخ الإسلام كلام جميل حول هذا الموضوع في الاستقامة له ٣٦٩/١.

على ضده وكره الْكفْر وأبغضه واستقبحه وَلم يرده وآثر عليه ضده، وَالله خلق له الاختيار والاستحسان، والارادة للإيمان والبغض والكراهة والاستقباح للكفر قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾[الحجرات: ٧]، واختار الكافر الكفر واستحسنه وأحبه وأراده وآثره على ضده وكره الإيمان وأبغضه واستقبحه ولم يرده وآثر عليه ضده ,والله تعالى خلق ذلك كله، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وليس أحدهم بممنوع عن ضد ما اختاره ولا بمحمول على ما اكتسبه ولذلك وجبت حجة الله عليهم وحق عليهم القول من رَبهم ومأوى الْكَافرين النار بما كانوا يكسبون، ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦] ويفعل ما يشاء ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وما من خطرة ولا حركة إلا بالأمر، وهو قوله: (كن)؛ فله الخلق والأمر، والخلق صفته فَلم يدع بهذين الحرفين لعاقل يدعى شيئاً من الدنيا والآخرة لا له ولا به و إلا إليه فاعلم أنه لا إله هو[1].

المطلب الثاني: الاحتجاج على المخالفين لأهل السنة من المعتزلة والقدرية ببيان الحكمة من تزيين الأعمال للعاملين.

قال العلماء: والزينة نظير المشيئة، لأنهم يجدونها في موضع منسوبة إلى الشيطان مثل قوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤] وأشباهها، فكل مشيئة منسوبة في القرآن إلى غيره، وزينة أو إضلال فهو تبع له، إذ مستحيل أن يكون جل جلاله تبعاً لهم ومزيناً أو مضلاً وشائياً بقوتهم، وكيف يكون كذلك وهو يملكهم ولا يملكونه، خلقهم كيف أراد بجميع صفاتهم وآلاتهم وهو في جميع صنيعه فيهم وفي غيرهم عدل، عقل الخليقة عدله أم لم يعقلوه. فهذا واضح لا لبس فيه لمن شرح الله صدره ولم يكابر عقله[2].

الرد على تأويلاتهم الباطلة:

زلت أقدام كثير من المخالفين لأهل السنة حينما حاولوا إخضاع نصوص الوحي للعقول، فما استساغته عقولهم قبلوه، وما خالفها ردوه، وهذا طريق ضلال، فالصواب أن العقول السليمة تستنير بنور الوحي ولا تعارضه، أما أن تقف معارضةً له فذلك دال على تلوثها بلوثة شهوة أو شبهة، فما أشد ما ينتاب العقول من زيغ بتأثير إحدى هاتين اللوثتين شهوة أو شبهة؛ ومن هنا لا تتعجب أن يعترضوا بما حسنته عقولهم أو قبحته

(١) انظر التعرف لمذهب التصوف ٤٩/١.

(٢) انظره في النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ٣٧٠/١.

على أن الله تعالى بحكمته البالغة يقدّر الخير والشر[١]، وفي السياق لما قرر أهل السنة رؤية المؤمنين لربهم عياناً يوم القيامة استدلالاً بصريح النصوص من القرآن والسنة، ومنها أيضاً حديث: « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر »[٢]، يتجرأ الزمخشري فيقابل هذه النصوص بشطط من القول قائلاً: وزعمت المشبهة والمجبرة[٣]، أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى، وجاءوا بحديث مرقوع![٤]، يشير الى الحديث المذكور، وهو في البخاري! يعني مفترى، أو مرقع، فهذا نتاج إخضاع نصوص الوحي لما حسنته العقول أو قبحته، وهذا مسلك مجانب للصواب.

واعلم أن موقف المعتزلة ومن وافقهم من تزيين أعمال الكفار لهم، كموقفهم من الختم على قلوب الكفار للحيلولة بينها وبين وصول الإيمان إليها، كما قال تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٧]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: قال ابن جرير: وقال بعضهم: إنما معنى قوله: (ختم الله على قلوبهم) إخبار من الله عن تكبرهم، وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق، كما يقال: إن فلانا لأصم عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه، ورفع نفسه عن تفهمه تكبراً قال: وهذا لا يصح؛ لأن الله قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم[٥]، وتعقبه ابن كثير قائلا:

(١) قال العمراني في الانتصار: زعموا أن الله لم يقدر على العباد المعاصي فردوا بذلك ما ثبت في السنة من أن الإيمان بأن الله يقدر الخير والشر ركن من أركان الإيمان، انظر الانتصار في الرد على المعتزلة ٦٧/١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (٥٥٤/١١٥/١).

(٣) ترد في الكشاف هذه الصفات: لمجسمة المشبهة والحشوية المجبرة أو الجبرية، وذلك منه لمز بأهل السنة والجماعة.
فالمجسمة: الذين يصفون الله بأن له جسماً وجثةً وأعضاءً وغير ذلك تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. ينظر: تخريج العقيدة الطحاوية (٤٥/١).
وقال السّبكي في شرح أصول ابن الحاجب: الحشوية طائفة ضلّوا عن سواء السبيل يجرون آيات اللّه على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد، سمّوا بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري، وقيل المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذّر اجراؤها على ظاهرها بل يؤمنون بما أراده اللّه مع جزمهم بأنّ الظاهر غير مراد ويفوّضون التأويل إلى اللّه. وغير ذلك من التعريفات، وهم يطلقونها على أهل السنة السائرين مع مدلول النصوص لمزاً لهم، وقدحاً فيهم وفي مذهبهم، ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون (١١٦٠/١).
والجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف. فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرا ما في الفعل، وسمي ذلك كسبا، فليس بجبري. ينظر: الملل والنحل (٨٥/١). ولتعلم أن هذه التعريفات التي ذكرتها إنما هي بحسب مصطلح أهل السنة، بينما يريد الزمخشري بهذه الأوصاف مجتمعة أهل السنة أنفسهم.

(٤) انظر الكشاف للزمخشري ٣٤٢/٢.

(٥) جامع البيان للطبري ٢٦٠/١، وانظر الكشاف ٤/ ٥٤٧.

وقد أطنب الزمخشري في تقرير ما رده ابن جرير هاهنا وتأول الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جداً، وما جرأه على ذلك إلا اعتزاله؛ لأن الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق إليها قبيح عنده -تعالى الله عنه في اعتقاده-ولو فهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاءً وفاقاً على تماديهم في الباطل وتركهم الحق، وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح، فلو أحاط علما بهذا لما قال ما قال، قال القرطبي: وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم كما قال: ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٥٥][1].

ولعل في هذا غنية عن مزيد التطويل في بيان الرد على المعتزلة ومن وافقهم فيما ذهبوا إليه من عدم نسبة تزيين الكفر للكافرين إلى الله تعالى، والله أعلم.

المطلب الثالث: قول المعتزلة في معنى ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾ (الأنعام ١٠٨) والرد عليهم

يقول الزمخشري في تفسير قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾: **أي مثل ذلك التزيين زينا لكل أمّة من** أمم الكفار سوء عملهم، وذكر أربعة أوجه:

١- أو خليناهم وشأنهم.

٢- أولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم.

٣- أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم.

٤- أو زيناه في زعمهم، فهذه الأوجه الأربعة التي فسر بها الزمخشري تزيين أعمال الكفار لهم عقوبة من الله، وتعقبه ابن المنيّر قائلاً قوله: أو خليناهم وشأنهم، فسر التزيين بذلك، لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة، ويخلق الشر والخير عند أهل السنة[2].

وفي موضع آخر يقول الزمخشري: فما أجهل مَن يمزج الكفر بالخلق، ويجعله من جملته، والخلق: أعظم نعمة من الله على عباده، والكفر: أعظم كفران من العباد لربهم[3].

قال ابن المنيّر: قوله «فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق» يريد أهل السنة، حيث يقولون إنه تعالى هو الخالق لأعمال العباد حتى الكفر وغيره من المعاصي، ولا وجه لتجهيلهم مع استنادهم إلى

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٧٤، وانظر الكشاف ٢/٥٦، ٤/٥٤٧.

(٢) انظره في الكشاف ٤/٥٤٧.

(٣) المرجع السابق.

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦][(١)].

الرد على هذه التأويلات الضعيفة:

وبعد أن ذكر ابن عادل -رحمه الله تعالى – في اللباب جملةً من هذه التأويلات ومنها:

قولهم في معنى (زينا لكل أمة عملهم) قال: أي زينا لكل أمة تقدمت ما مرناهم به من قول الحق، ، أي حملوه على ما كان ينبغي لهم فعله، وكما قال بعضهم: إنَّه – تعالى — زين لهم ما ينبغي أن يعملوا وهم لا ينتهون، **ثم قال ابن عادل** رحمه الله: وهذه وجوه ضعيفة؛ لأن الدليل العقلي القاطع دل على صحة ما أشعر به ظاهر النص؛ لأنا بينا أن صدور الفعل عن العبد، يتوقف على حصول الداعي، وأن تلك الداعية لا بد وأن تكون بتخليق الله – تعالى –، ولا معنى لتلك الداعية إلا عمله واعتقاده، أو ظنه باشتمال ذلك الفعل على نفع زائد، ومصلحة راجحة، وإذا كانت تلك الداعية حصلت بفعل الله – تعالى –، امتنع أن يصدر عن العبد فعل، ولا قول، وحركة، إلا إذا زين الله – تعالى – ذلك الفعل في قلبه، وضميره، واعتقاده، وأيضا أن الإنسان لا يختاره لاعتقاد كونه إيمانا، وعلما، وصدقا، وحقا، فلولا سابقة الجهل الأول، لما اختار هذا الجهل الثاني: ثم إنه لما اختار ذلك الجهل السابع، فإن كان اختيار ذلك لسابق آخر، لزم أن يستمر ذلك إلى ما لا نهاية له من الجهالات، وذلك محال؛ فوجب انتهاء تلك الجهالات إلى جهل أول يخلقه الله – تعالى – فيه ابتداء، وهو بسبب ذلك الجهل ظن في الكفر كونه إيمانا، وحقا وعلما؛ فثبت إنه يستحيل من الكافر اختيار الكفر والجهل، إلا إذا زين الله – تعالى – ذلك الجهل في قلبه؛ فثبت

(١) الكشاف ٥٤٧/٤، قال النيسابوري رحمه الله في الرد على تأويلات نفاة التزيين عن الله، حينما قالوا: إن المزين غير الله استدلالاً بقوله: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [النمل: ٢٤]، وبقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فإذا المراد: زينا لكل أمة من أمم الكفار عملهم أي: خلينا هم وشأنهم وأمهلناهم حتى حسن عندهم سوء عملهم، أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زينا في زعمهم، وقولهم: إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا، قال النيسابوري: وهو ضعيف، بأن قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا ﴾ بعد قوله ﴿ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ ﴾ مشعر بأن إقدامهم على ذلك المنكر إنما كان بتزيين الله تعالى، وأيضا الإنسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفراً وجهلاً، والعلم بذلك ضروري؛ بل إنما يختاره لأنه اعتقد كونه إيماناً وعلما وحقا وصدقا، ولولا سابقة الجهل الأول لما اختار الجهل الثاني ولا تذهب الجهالات إلى غير النهاية، فلا بد أن ينتهي إلى جهل أول يخلقه الله تعالى فيه وهو بسبب ذلك الجهل ظن الكفر إيمانا والجهل علما، انظر غرائب القرآن للنيسابوري ٣/ ١٤٢، بتصرف.

بهذين البرهانين القاطعين، أن الذي يدل عليه ظاهر هذه الآية؛ هو الحق الذي لا محيد عنه، فبطلت تأويلاتهم بأسرها؛ لأن المصير إلى التأويل إنما يكون عند تعذر حمل الكلام على ظاهره، وأما لما قام الدليل على أنه يمكن العدول عن الظاهر، فسقطت هذه التكليفات، وأيضا: فوقه: «كذلك زينا لكل أمة عملهم» بعد قوله: «فيسبوا الله عدوا بغير علم».

مشعر بأن إقدامهم على ذلك المنكر إنما كان بتزيين الله تعالى، فأما أن يحمل ذلك على أنه – تبارك وتعالى – زين الأعمال الصالحة في قلوب الأمم، فكان هذا كلام منقطع عما قبله، وأيضا: فقوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾: يتناول الأمم الكافرة والمؤمنة، فتخصيص هذا الكلام بالأمة المؤمنة، ترك لظاهر العموم[1].

وقال في الانتصار:

وأما قول المخالف: بأن الله لم يزين للكافرين أعمالهم، وإنما زينها لهم الشيطان، فقد بينا أن الله زين لهم أعمالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤]، ونسب ذلك إلى الشيطان بأنه زينه لهم بوسوسة الشيطان، والشيطان ووسوسته خلق الله؛ بدليل أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ به من الشيطان ومن وسوسته بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ١ – ٦]، ولولا أنهما خلق الله لما استعيذ به منهما، قال ابن القيَم رحمه الله تعالى: ويرد على القدرية الذين يمنعون إسناد ما فيه قبح إلى الله، فإن هذا القول يدفعه بأنها من الشيطان ومن العبد قبيحة، أما من الله فلا قبح لأنه فعله عقاباً فهو منه جميل[2]، والله تعالى أعلم وأحكم.

(١) انظر اللباب: ٣٦٦/٨ بتصرف، وقد أشرت إلى بعضه فيما تقدم.

(٢) الانتصار ٤٠٥/٢.

المبحث الخامس: التزيين مِنة من الله تعالى على عباده، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: فضل الله تعالى على عباده في تزيين الإيمان في قلوبهم

اعلم أن هذا النوع من التزين يغاير ما سبق؛ فما تقدم إنما غالبه من تزيين العقوبة، أو الاستدراج، وهو ما يمكن أن نسميه: التزيين السلبي، أما هنا فهو في الجانب الآخر، وهو تزيين الامتنان مِنه تعالى على عباده، أو هو التزيين الإيجابي، ومن خلال الاستقراء وجدت هذا النوع من التزيين جاء في القرآن لموضوعين، الأول: في سياق الامتنان منه تعالى على عباده، والثاني في سياق الخبر عن تزيين السماء بالنجوم وهو مِنة منه أيضاً، كما سيأتي الحديث عنه في المطلب الثاني.

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

سبب النزول الآية: قال الطبري رحمه الله تعالى: نزلت حينما بعث رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم رجلاً من أصحابه لجباية صدقة قوم، فأتاهم الرجل، فلما أتاهم رحبوا به، وأقرّوا بالزكاة، وأعطوا ما عليهم من الحقّ، فرجع الرجل إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال: يا رسول الله، منع بنو فلان الصدقة، ورَجعوا عن الإسلام، فغضب رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وبعث إليهم فأتوْه فقال: أَمَنَعْتُمُ الزَّكاةَ، وَطَرَدْتُمْ رَسُولي؟ " فقالوا: والله ما فعلنا، وإنا لنعلم أنك رسول الله، ولا بدّ لنا، ولا منعنا حقّ الله في أموالنا، فلم يصدقهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فأنزل الله هذه الآية، فعذرهم، [(١)]، قال الحافظ ابن كثير– رحمه الله تعالى –: يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون –في نفس الأمر–كاذبا أو مخطئا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر، وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق[(٢)].

وعلى كل حال: خبر الآية الكريمة أن الله وفق عباده المؤمنين لقبول الإيمان والإذعان له بما أودع في قلوبهم بفضله من قبول الحق وإيثاره، لما أبان لهم من الأدلة والشواهد على صحته، وقبول

(١) جامع البيان ٨٩/٢٢، وقد سمى غيره الرجل بأنه: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ذكره البغوي في معالم التنزيل ٤/ ٢٥٧، وغيره.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٧٠/٧.

القلوب والفطر السليمة له، وهذا ينضم مع العديد من نصوص الكتاب العزيز التي مفادها أن الله تعالى متى أراد بالعبد خيراً فإنه ييسر له أسباب قبول الإيمان والاطمئنان به كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، أما من أراد الله تعالى له الشقاء والحرمان أغواه عدلاً حتى ينغلق قلبه عن قبول الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ وكما قال تعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤]، فسبحانه يهدي من يشاء فضلاً، ويضل من يشاء عدلاً، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

المطلب الثاني: الامتنان على العباد بتزيين السماء لهم بالمصابيح:

تقدم أن هذا النوع من التزيين إنما هو تزيين إيجابي، وهو أن الله تعالى امتن على عباد المؤمنين بتزيين السماء لهم، وقد جاء الخبر على جهة الامتنان على العباد بهذه المنة العظيمة في (٥) مواضع من القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ [ق: ٦].

اعلم أن تزيين السماء الدنيا بالنجوم، وتارة قال بمصابيح، فإن ذلك أحد الحكم التي خلق الله تعالى من أجلها النجوم، فإنه تعالى جعل من خلق النجوم مع هذه الغاية التي هي زينة السماء الدنيا، جعل النجوم كذلك علامة يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وكما قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وهي كذلك جعلها الله تعالى رجماً للشياطين، كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾، فسبحان من خلق فأبدع، وشرع فأحكم، والله تعالى أعلم.

الخاتمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على إمام الأتقياء وقدوة الحنفاء وعلى آله وصحبه ومن اقتفى، وبعد:

فقد توصلت في ختام هذا البحث المختصر الذي يسر الله تعالى اتمامه إلى النتائج التالية:

١- يان حقيقة أن الله تعالى هو المزين على الحقيقة لكل فعل يفعله الإنسان إما فضلاً أو عدلاً، ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[الرعد: ٤١].

٢- لله تعالى الحكمة في تزيين الأعمال للعاملين؛ لأنه الله تعالى منزه عن العبث؛ فما من شيء خلقه الله تعالى وقدره إلا لحكمة عظيمة قد نعلمها وقد لا نعلمها، فالواجب علينا التسليم.

٣- أسند الله تعالى التزيين إليه - سبحانه - خلقاً ومشيئة، وإلى الشيطان تسبباً وتحسيناً؛ لأنه سبب داع ومؤثر؛ أما العبد فلأنه مباشر للفعل، فالإسناد إلى الله تعالى حقيقة، وإلى الشيطان والعبد ليس بحقيقةٍ.

٤- غالب الآيات التي ورد فيها التزيين في القرآن، إنما هو في التزيين السلبي، أو تزيين العقوبة والاستدراج، أما تزيين المِنة، أو التزيين الإيجابي فإن الآيات فيه قلية جداً.

٥- كما جاء الإبهام كثيرا في القرآن لمن وقع منه التزيين، كذلك أُبهم ما وقع عليه التزيين؛ لحكم كثيرة مبينة في موضعها.

٦- درج القرآن الكريم إلى اسناد الكثير من الأفعال إلى ما لم يسم فاعله وإن كانت من فعل الله تعالى وإرادته عدلاً؛ لكن من باب التأدب مع الله؛ فلم يضف إلى المولى تعالى باسم الفاعل إلا ما كان حسناً غالباً، وما كان سيئاً فإنه يأتي مبهما، أو مضافً للشيطان.

٧- رغم صريح القرآن على تزيين الله تعالى الكفر للكافرين، إلا أن هناك من الفرق المنتسبة للإسلام من قد خالفت، وتأولت الآيات تأويلاً متعسفاً.

٨- سبب التأويلات المتعسفة التي قابل بها المعتزلة ومن وافقهم صريح الأدلة على تزيين الكفر للكافرين سببه إخضاع نصوص الوحي لما حسنته العقول أو قبحته! والحق أن العقل السليم ينقاد لصريح الوحي دون أن يعارضه.

وبعد فها أنا قد أنهيت هذا العمل المبارك، فأن كان صواباً فهو من الله تعالى، وأحمده تعالى على تيسيره، وإن كان خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، فاستغفر الله تعالى من كل ذنب وخطيئة.

والحمد لله أولاً وآخراً.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. "زاد المسير في علم التفسير". (ط٣، المكتب الإسلامي، ١٩٨٤م).

ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. " الاستقامة " تحقيق: د. محمد رشاد سالم (ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٣).

ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله. "التسهيل لعلوم التنزيل" تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي. (ط١، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ١٤١٦ هـ).

ابن قيم الجوزية، شمس الدين. "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" (بيروت، لبنان، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. " تفسير القرآن العظيم" تحقيق: سامي بن محمد سلامة. (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩ م).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. " لسان العرب". (دار صادر، ٢٠٠٣م).

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. " تفسير البحر المحيط" (دار إحياء التراث العربي).

أبو عبيدة، معمر بن المثنى. "مجاز القرآن". تحقيق: محمد فواد سزكين. (مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ).

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر. "التيسير في القراءات السبع ". تحقيق: اوتو تريزل. (ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

الأزهري، محمد بن أحمد. "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب: (ط١، بيروت دار إحياء التراث العربي ٢٠٠١).

الأندلسي، عبد الحق بن عطية. " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: مجموعة من المحققين. (ط٢، قطر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ٢٠٠٧م).

البخاري، محمد بن إسماعيل. " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري". تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط١، دار طوق النجاة، – مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي– ١٤٢٢هـ).

البغوي، الحسين بن مسعود. "معالم التنزيل". تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين. (ط١، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م).

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة. "الجامع الكبير؛ سنن الترمذي". تحقيق: بشار عواد معروف. (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م).
الحموي، ياقوت بن عبد الله. "معجم البلدان". (ط٢. بيروت، دار صادر، ١٩٩٥ م).
الخازن، الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر. " لباب التأويل في معاني التنزيل". تحقيق وتصحيح محمد علي شاهين (بيروت، دار الكتب العلمية).
الدمشقي، عمر بن علي بن عادل. " اللباب في علوم الكتاب". تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. (بيروت / لبنان دار الكتب العلمية).
الذهبي، محمد بن أحمد. "سير أعلام النبلاء". (مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م).
الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. "مختار الصحاح". تحقيق: يوسف الشيخ محمد المكتبة. (ط٥، بيروت — صيدا، العصرية – الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. " تفسير الراغب الأصفهاني" تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني. (ط١، كلية الآداب – جامعة طنطا ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩) وعادل بن علي الشِّدِي (الرياض، دار الوطن).
الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل. "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. (ط١، بيروت، دار عالم الكتب ١٩٨٨م).
الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد. " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣، بيروت، دار الكتاب ١٤٠٧ هـ).
السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل. " أسرار البيان في التعبير القرآني".
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ". تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م).
السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار. " تفسير القرآن" تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم (ط١، الرياض – السعودية دار الوطن، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م).
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. " الدر المنثور في التفسير بالمأثور". تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. (مركز هجر للدراسات العربية والإسلامية، ٢٠٠٣م).
الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥).

الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق: محمود محمد شاكر. (مكتبة ابن تيمية، القاهرة).
العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. " فتح الباري شرح صحيح البخاري". (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩).
عمر، أحمد مختار عبد الحميد. " معجم اللغة العربية المعاصرة". (ط١. عالم الكتب ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).
العمراني، يحي بن أبي الخير بن سالم. "الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار" تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف. (الرياض، المملكة العربية السعودية أضواء السلف).
الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم. " العين". تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. (دار ومكتبة الهلال).
القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. " الجامع لأحكام القرآن" (سوريا، دار الفكر).
القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا. " معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٩٧٩م).
القشيري، مسلم بن الحجاج. " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
القصَّاب، أحمد محمد بن علي بن محمد. "الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام". تحقيق: الجزء ١: علي بن غازي التويجري الجزء ٢ - ٣: إبراهيم بن منصور الجنيدل الجزء ٤: شايع بن عبده بن شايع الأسمري. (ط١. دار القيم - دار ابن عفان ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).
القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد. "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) " الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠).
الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب. "التعرف لمذهب أهل التصوف". (بيروت، دار الكتب العلمية).
السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل. " لمسات بيانية". (أعده للشاملة: أبو عبد المعز).
المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد. "المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار". (مكتبة وهبة).

النسائي، أحمد بن شعيب. "سنن النسائي الكبرى". تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي. (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ – ٢٠٠١).
النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود. "مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي". حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو. (ط١، يروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٩ هـ).
نظام الدين، الحسن بن محمد. "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" تحقيق: الشيخ زكريا عميرات (ط١، بيروت، دار الكتب العلميه ١٤١٦ هـ).
الواقدي، محمد بن عمر بن واقد. " المغازي ". تحقيق: مارسدن جونس. (ط٣. بيروت، دار الأعلمي ١٤٠٩/ ١٩٨٩).

Bibliography

Al-Quran Al-Kareem

Abu Hayaan ،Muhammad bun Yousuf bin Ali bin Hayan. "Tafseer al-Bahr al-Muheet". (Daar Ihyaah at-Turath al-Arabi).

Abu Ubaidah ،Mu'ammar bun al-Muthannaa. "Majaaz al-Quran". Investigated by Muhammad Fuad Sizkeen. (Cairo: Maktabat al-Khanji ،1381).

Abu Umar Ad-Daani ،Uthman bun Sa'eed bin Uthman. "At-Tayseer fii al-Qiraa'aat as-Sabhi". Investigated by Outou Tiraysil. (2nd edition. Beirut: Daar al-Kitab al-Arabi ،1404 AH - 1984).

Ad-Dimashqi ،Umar bin Ali bin Adel. "Al-Lubab fii Uloum al-Kitab". Investigated by Adel Ahmad Abdul Mawjoud and Sheikh Ali Muhammad Muawad. (Lebanon ،Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyat).

Al-Andalusi ،Abdul-Haq bin Atiyyat. "Al-Muharrar al-Wajeez fii Tafseer al-Kitab al-Aziz". Investigated by a group of investigators. (2nd edition. Qatar: Ministry of Endowments and Islamic Affairs ،2007).

Al-Asqalaani ،Ahmad bun Ali bin Hajar. "Fathu al-Ba'ri Sharh Sahih al-Bukhari". (Beirut: Daar al-Mahrifat ،1379).

Al-Azhari ،Muhammad bun Ahmad. "Tahzeeb al-Lughah". Investigated by Muhammad Awad Mur'ib. (1st edition. Beirut: Daar Ihyaah at-Turath al-Arabi ،2001).

Al-Baghawi ،Muhammad al-Hussein bun Mas'oud. "Ma'alim at-Tanzeel". Investigated by Muhammad Abdul Jeleel an-Namir and others. (1st edition. Riyadh: Daar Taiba for Publication ،1989).

Al-Bukhari ،Muhammad bin Ismaeel. "Al-Jaami' Al-Musnad As-Sahih Al-Mukhtasar Min Umoor Rasoul Allah SAW wa Ayaamihi; Sahih al-Bukhari". Investigated by Muhammad Zuhair bin Nasir An-Nasir. (1st edition. Daar Tawq an-Nuhat ،1422). Numbered by Muhammad Fuad Abdul Baaqi.

Al-Faraaidi ،Al-Khalil bun Ahmad bin Amrou. "Al-Ain". Investigated by Dr. Mahdi al-Makhzoumi and Dr. Ibrahim As-Sa'murai. (Maktabat al-Hilal).

Al-Hamawi ،Yaqout bun Abdillah. "Mu'jam Al-Buldaan". (2nd edition ،Beirut: Daar Sa'dir ،1995).

Al-Husseini ،Muhammad Rashid bin Ali Ridaa bin Muhammad. "Tafseer al-Quran al-Hakeem (Tafseer al-Manaar) ". (Egyptian General Book Authority ، 1990).

Al-Khazin ،Ali bun Muhammad bin Ibrahim. "Lubab at-Taaweel fii Ma'aani at-Tanzeel". Investigated and Corrected by Muhammad Ali Shahin. (Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyat).

Al-Kilabazi ،Muhammad bin Abi Ishaq bin Ibrahim. "At-Ta'arruf li Mazhab ahli at-Tasawuf". (Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyat).

Al-Mat'ani ،Abdul-Azheem Ibrahim Muhammad. "Al-Majaz enda al-Imam Ibn Taymiyyah wa Talaamizihi bayna al-Inkaar wa al-Iqraar". (Wahbat Library).

Al-Qassab ،Ahmad Muhammad bin Ali. "An-Nukat Al-Daalla ala al-Bayaan fii Anwaa' al-Uloum wa al-Ahkaam". Volume 1 Investigated by Ali bin Gaazi at-Tuwaijiri ،Volume 2&3 by Ibrahim Mansour al-Junaidil ،Volume 4 by Shayih bin Abdou bin Shayih al-Asmari. (1st edition. Daar al-Qayim – Daar Ibn Afaan ،1424 AH - 2003).

Al-Qazwaini ،Ahmad bun Faris. “Mu’jam Maqaayis al-Lugat”. Investigated by Abdus-Salam Muhammad Harun. (Daar al-Fikr).
Al-Qurtubi ،Muhammad bin Ahmad bin Abu bakr. “Al-Jaami' Li ahkaam al-Quran”. (Syria: Daar al-Fikr).
Al-Qushairi ،Muslim bun al-Hajjaj. “Al-Musnad As-Sahih Al-Mukhtasar be naqli al-Adli an al-Adli Ila Rasoul Allah SAW; Sahih Muslim”. Investigated by Muhammad Fuad Abdul Baaqi. (Beirut: Daar Ihyaah at-Thurath al-Arabi).
Al-Waqidi ،Muhammad bin Umar bin Waqid. “Al-Maghaazi”. Investigated by Marsidn Johnson. (3rd edition. Beirut: Daar al-Ahlami ،1409 AH - 1989).
An-Nasafi ،Abdullah bin Ahmad bin Mahmoud. “Madarik at-Tanzeel wa haqaaiq at-Taaweel; Tafseer an-Nasafi”. Investigation and Hadith Authentication by Yusuf Ali Budaiwi ،Revised by Muhyideen deeb Mastou. (1st edition. Beirut: Daar al-Kalim at-Tayib ،1419).
An-Nasai ،Ahmad bin Shuaib. “Sunan an-Nasai al-Kubrah”. Investigated by Hassan Abdul Mun’em Shalbi. (Muassasat ar-Risaalat ،1421 AH - 2001).
A-Raghib al-Asfahaani ،Al-Hussein bun Muhammad. “Tafseer ar-Raghib al-Asfahani”. Investigated and Studied by Dr. Muhammad Abdul-Aziz Basyouni. (1st edition. Faculty of Arts – Tanta University ،1420 AH - 1999) and Adel bin Ali As-Shidi. (Riyadh: Daar al-Watan).
Ar-Raazi ،Muhammad bun Abubakr bin Abdil-Qaadir. “Mukhtaar as-Sihaah”. Investigated by Yusuf Sheikh Muhammad. (5th edition. Sidon ،Beirut: Al-Maktabat Al-Asriyat – Al-Daar An-Namouzajiyat ،1420 AH - 1999).
As-Sa’di ،Abdur-Rahman bin Naasir bin Abdillah. “Tayseer al-Kareem ar-Rahman fii Tafseer Kalaam al-Manan”. Investigated by Abdur-Rahman bin Ma’ala al-Luwaihiq. (1st edition. Muassasah ar-Risaalat ،1420 AH - 2000).
As-Saamurai ،Fadil bin Salih bin Mahdi. “Lamasaat Bayaaniyah”. Prepared for Shamela by Abu Abdul Muizi.
As-Sam’aani ،Mansour bun Muhammad bin Abdul-Jabaar. “Tafseer al-Quran”. Investigated by Yasir bin Ibrahim and Gunaim bin Abass. (1st edition. Riyadh: Daar al-Watan ،1418 AH - 1997).
As-Samuraai ،Fadil bin Salih bin Mahdi. “Asraar Al-Bayan fii ata’beer al-Qura’ni “.
AS-Shafi'i ،Yahya bun Abi al-Khair bin Salim. “Al-Intisaar fii Raddi ala al-Mu’tazilat al-Qadariyat al-Ashaa'irah “. Investigated by Saud bin Abdul-Aziz al-Khalaf. (Kingdom of Saudi Arabia ،Riyadh: Adwaau as-Salaf).
As-Shinqeeti ،Muhammad al-Ameen bin Muhammad al-Mukhtar bin Abdul-Qadir. “Adwaa Al-Bayaan fii Idaahi al-Quran bi al-Quran “. (Beirut: Daar al-Fikr ،1995).
As-Suyouti ،Abdur-Rahman bin Abubakr. “Ad-Durr al-Manthour fii at-Tafseer bi al-Maathour”. Investigated by Abdullah bin Abdul-Muhsin at-Turki. (Hajar Center for Arabic and Islamic Studies ،2003).
At-Tabari ،Muhammad bun Jarir. “Jaami' al-Bayaan an Taweel Aayi al-Quran”. Investigated by Mahmoud Muhammad Shakir. (Cairo: Ibn Taymiyyat Library).
At-tirmizi ،Muhammad bin Isa bin Saorat. “Al-Jaami' Al-kabeer; Sunan at-Tirmizi”. Investigated by Bashar Awaad Mahrouf. (1st edition. Beirut: Daar al-Garbi al-Islaami ،1996).

Az-Zajaaj ،Ibrahim bun As-Suri bin Sahl. “Ma’aani al-Quran wa I’raabuh”. Investigated by Abdul Jeleel Abdou Shalabi. (1st edition. Beirut: Daar a’lam al-Kutub ،1988).

Az-Zamkhshari ،Mahmoud bun Amrou bin Ahmad. “Al-Kashaaf an Haqaaiq Gawaamid at-Tanzeel”. (3rd edition. Beirut: Daar al-Kitab al-Arabi ،1407 ،4 Volumes).

Dr. Ahmad Mukhtar Abdul Hameed Umar. “Mu’jam al-Lugat al-Arabiyat al-Mu'asirah”. (1st edition. A’lam al-Kutub al-Ilmiyat ،1429 AH - 2008).

Ibn al-Jawzi ،Abdur-Rahman bin Ali bin Muhammad. “Zaad al-Maseer fii Ilm at-Tafseer”. (3rd edition. Al-Maktab Al-Islami ،1984).

Ibn Jizzi Al-Girnaati ،Muhammad bin bin Ahmad bin Muhammad. “At-Tasheel li Uloom at-Tanzeel “. Investigated by Dr. Abdullah Al-Khalidi. (1st edition. Beirut: Daar al-Arqam bin Abi al-Arqam Company ،1416 AH).

Ibn Katheer ،Ismaeel bin Umar. “Tafseer al-Quran al-Azheem”. Investigated by Saami bin Muhammad Salaamat. (2nd edition. Daar Taiba for Publication and Distribution ،1999).

Ibn Manzhour ،Muhammad bin Makram bin Ali. “Lissan al-Arab”. (Daar Saadir ، 2003).

Ibn Qayim Al-Jawziyat ،Shamsudeen. “Shifaah al-Aleel fii Masaail al-Qadai wa al-Qadar wa al-Hikmat wa at-Ta’leel”. (Lebanon ،Beirut: Daar al-Mahrifat ، 1398 AH - 1978).

Ibn Taymiyyat ،Ahmad bin Abdul-Haleem. “Al-Istiqaamah”. Investigated by Dr. Muhammad Rashad Salim. (1st edition. Riyadh: Imam Muhammad bin Saud University ،1403).

Nizaam Ad-Deen ،Al-Hassan bun Muhammad. “Gharaaib al-Quran wa Raghaaib al-Furqaan”. Investigated by: Sheikh Zakariya Umairaat. (1st edition. Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat ،1416).